تقول: إن لمحمداً عند هذا الراهب قَدْراً، وجعل أبو طالب يخاف عليه من الراهب، فقال بَحِيْرَى لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال: ما هو ابنك، وما ينبغي أن يكون أبوه حيًّا، قال: فإنه ابن أخي، قال: ما فعل أبوه؟ قال: هلك وأمه حامل به، قال: فما فعلت أمه؟ قال: هلكت قريباً، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه من اليهود. والله لئن عرفوا منه ما أَعرفُ ليَبْغُنَّه عَنَتاً[1]، وإنه كائن لابن أَخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا، ونرويه عن أكابرنا. فلما فرغوا من التجارة عاد به أبو طالبٍ سريعاً إلى مكة.

وكانت رجال من اليهودِ قد رأوا رسول الله ﷺ، وعرفوا صفته في التوراةِ فأرادوا أَن يغتالوه، فذكروا ذلك لبَحِيرى فنهاهم عنه أَشدَّ النَّهي وقال: قد وجدتم صِفَتَه في التوراة، وأنه كائن لا محالةَ فلا سبيل لكم عليه، فتركوه، فما خرج به بعدها في سَفَرٍ خَوفاً عليه[2].

* * *

السنة الرابعة عشرة من مولده ﷺ

فيها تحرّكت قيس لحربِ قريش، فخرج إليها عبدالله بن جُدعان وشِيخان قريش، فذكَّروهم الله فرجعوا[3].

* * *

السنة الخامسة عشرة من مولده ﷺ

فيها رُوي أن النبي ﷺ رأى قُس بن ساعدة الإيادي في سوقِ عكاظ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قدم وَفْدُ عبد قيس على رسول الله ﷺ فقال لهم: «ما فَعَل قُسٌّ»؟ قالوا: هلك. قال: «ما أَنْسَاه على جملٍ أَوْرقَ يَخطُبُ بسوقِ عُكاظٍ ويَقُول: أيُّها

(١) في (خ): «والله لئن عرفوا منه ما أعرف لتبعته حيث كان وقتلوه».

(٢) انظر «سيرة» ابن هشام ١/ ١٦٥، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٢٨، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٢٦، و«المنتظم» ٢/ ٢٩٢.

(٣) هو حرب الفجار الأخير وقد تقدم ذكره قريباً، انظر «المنتظم» ٢/ ٢٩٦.

النَّاسُ، اجتَمِعوا واسْتَمِعوا وَعُوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكلُّ ما هو آتٍ آت، إنَّ في السماءِ لخبرا، وإنَّ في الأرضِ لعِبَرا، مهادٌ موضوعٌ، وسَقْفٌ مَرفوعٌ، ونجومٌ تَمورُ، وبحارٌ لا تَغُورُ، أَقسم قُسٌّ قسماً حقاً أن لله تعالى ديناً هو أَحبُّ إليه من دينكم الذي أَنتم عليه، مالي أرى النَّاس يذهبونَ فلا يَرجعونَ، أَرَضُوا فأقاموا، أَم تُرِكوا فنامُوا؟» ثم قال: «أيكم يَروِي شعرَه؟»، فأنشدوه: [من مجزوء الكامل]

في الذَّاهبينَ الأولينَ ... من القرونِ لنا بصائرْ
لما رأيتُ مواردا ... للموتِ ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأكابرُ والأصاغِر
لا يرجع الماضي إليَّ ... ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالةَ ... حيث صار القوم صائر[1]

* * *

السنة السادسة عشرة من مولده ﷺ

شَعَّثَت الملوك على هُرْمز بن أَنُو شروان واتفقوا على قصده[2].

* * *

السنة السابعة عشرة من مولده ﷺ

فيها وصل ملك الترك ويقال له: شابةُ إلى هَراة في أربع مئة ألف فارس يريد المدائن لقتال هُرْمُز، وقصده ملك الروم في مئة ألف فارس ووصل إلى الضواحي، وقصده ملك الخزر وباب الأبواب في ست مئة ألف، وقصده من العرب رجلان: عباس الأحول، وعمرو الأزرق في جموع العرب والقبائل، ونزلا على شاطئ

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٥٦١)، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ١٠٢، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٤٢٤). وقال ابن الجوزي: وهذا الحديث من جميع جهاته باطل، قال أبو الفتح الأزدي: هو حديث موضوع لا أصل له. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ٤١٨ وقال: وفيه محمد بن الحجاج اللخمي، وهو كذاب. وانظر «اللآلي المصنوعة» ١/ ١٨٤.

(٢) انظر «المنتظم» ٢/ ٣٠١.